حركة ترجمة الأدب العربي إلى قراء الهند

«ولئن كان فردوس في الأندلس، فلنا الفردوس الأكبر في شبه القارة الهندية». هذا ما يقوله الأستاذ علي الطنطاوي عن الهند في إحدى مقالاته عن الهند تحت عنوان «الفردوس المفقود في شبه القارة الهندية».

وليس الطنطاوي مبالغا فيما قاله، فقد سجل التاريخ صفحات مشرقة من الحضارة الإسلامية على أرض الهند زهاء عشرة قرون. وفي هذه الحقبة الطويلة كان اهتمام المسلمين الهنود بالثقافة العربية والإسلامية عظيما، واستطاعوا تقديم إسهامات جليلة في مضمار الدراسات العربية والإسلامية. وهذا لا يهمنا في هذا المقام، بل ما يهمنا هو عناية الهنود بنقل التراث العربي إلى شتى لغاتهم.

مما لاشك فيه أن أكبر اهتمام المسلمين كان بترجمة القرآن الكريم وتفسيره إلى اللغات الهندية. فتفيدنا المصادر الموثوق بها أن عدد تراجم القرآن الكريم إلى اللغات الهندية تربو على مائتي (٢٠٠) ترجمة وتفسير منها فقط إلى اللغة الأردية ٥٠ ترجمة.

كما اعتنى الهنود بترجمة الأحاديث الشريفة إلى اللغات الهندية، وحظيت الأردية بنصيب الأسد فيها حيث يتجاوز عدد ترجمات الأحاديث فيها عن ٧٠ ترجمة ما بين صغيرة وكبيرة. هذا إلى جانب الفنون الإسلامية الأخرى مثل الفقه وأصول الدين والتصوف وغيرها، فنقل الهنود أمهات الكتب في الفقه، والشريعة الإسلامية إلى لغاتهم المختلفة.

أما فيما يتعلق بترجمة الكتب الأدبية في الماضي، فأهم الكتب المترجمة هي مقامات الحريري التي قام بترجمتها إلى الأردية وشرحها مولوي أوحد الدين البلغرامي ومولوي روشن على الجونبوري والمفتي اسماعيل بن وجيه الدين المرآدبادي وغيرهم، وديوان المتنبي الذي ترجمه وشرحه بالأردية مولوي ذوالفقار علي الديوبندي ومحمد بن احمد الطوكي وحسن جيد وغيرهم، وديوان الحماسة الذي ترجمه وشرحه مولوي ذوالفقار علي الديوبندي والشيخ فيض الحسن السهارنبوري وغيرهما، والمعلقات السبع التي ترجمها وشرحها بالأردية أكثر من واحد على رأسهم فيض الحسن السهارنبوري، وقصيدة «بانت سعاد»، وقصيدة «البردة» للبوصيري اللتان تتوافر لهما ترجمات وشروح عديدة مقبولة جدا في الهند.

وفي فن التاريخ نقل الهنود إلى اللغات الهندية مذكرات رحلة ابن بطوطة وابن جبير وابن خلدون وتاريخ الطبري وابن الأثير وفصوص الحكم وحكمة الاشراق والملل والنحل وغيرها الكثيرمن أمهات الكتب في التاريخ والطب.

بهذه المناسبة يذكر أن بعض الجمعيات والمؤسسات قامت بدور عظيم في نقل التراث العربي إلى اللغات الهندية قبل استقلال الهند في عام ١٩٤٧ ومنها كلية فورت وليم (تأسست عام ١٨٠٠). ومن أهم الكتب التي قامت بنقلها إلى اللغات الهندية هي «فصوص الحكم»، و«ألف ليلة وليلة»، و«هداية الإسلام»، و«لوامع الإشراق في مكارم الأخلاق»، و«اخوان الصفا». كما قامت دار الترجمة العثمانية بحيدرآباد (تأسست عام ١٩١٧) بدور كبير في نقل العلوم والفنون من اللغة العربية إلى اللغة الأردية، وذلك وفاء بضرورة طلاب المدارس والجامعات من المقررات الدراسية في شتى العلوم باللغة الأردية، لأن الأردية كانت لغة التعليم الرسمية في ولاية حيدرآباد المسلمة قبل الاستقلال. قامت المؤسسة بتكوين لجنة مكونة من الأدباء والمترجمين الماهرين لنقل الكتب من اللغات المختلفة على رأسها اللغة العربية إلى الأردية ونجحت في غضون ثلاثين سنة في ترجمة وطبع ٣٥٦ كتابا.

هذا إلى جانب تكوينها لمجلس لوضع المصطلحات العلمية والفنية في اللغة الأردية الذي تكوّن من ٥ لجان فرعية هي لجنة للطبيعيات والكيماوية والرياضيات ولجنة الفنون للفلسفة والعلوم المعمارية والتاريخ والجغرافية ولجنة لعلوم الاحياء ولجنة للطب ولجنة للهندسة.

ومن أهم الكتب التي تناولتها هذه المؤسسة للترجمة إلى الأردية «الملل والنحل»، و«الإحاطة في أخبار غرناطة» للوزير لسان الدين بن الخطيب، و«التاريخ الكامل» لابن الأثير، و«تاريخ اليعقوبي» و«تاريخ الطبري»، و«الطبقات الكبرى» للواقدي، و«فتوح البلدان» لاحمد بن يحي بن جابر البغدادي، وكتاب «الوزراء» للصابي، و«المباحث الشرقية» للرازي، و«مروج الذهب» للمسعودي، و«نفح الطيب» للشيخ أبوالعباس المقري.

بعد استقلال الهند عام ١٩٤٧ ضعفت العناية بنقل التراث العربي إلى اللغات الهندية لأسباب كثيرة لا مجال لذكرها هنا، إلا أن العدد الكبير من المدارس الدينية القائمة في طول البلاد وعرضها وأكثر من ٤٠ جامعة حكومية يوجد بها قسم للغة العربية العربية وآدابها اعتنت بنقل التراث العربي إلى اللغات الهندية إلا أن أغلبية الكتب العربية المترجمة تتعلق بالمواضيع الدينية والدعوة الإسلامية باستثناء بعض الكتب الأدبية، وهي على سبيل المثال لا على سبيل الحصر «أنا» لعباس محمود العقاد التي نقلها إلى الأردية مقتدى حسن الأزهري، و«حكايات حارتنا» لنجيب محفوظ التي نقلها إلى الأردية عبدالحق شجاعت علي، كما قام الأخير بنقل قصائد الشعراء العرب من أمثال: محمود درويش، وفوزي الأسمر، وتوفيق فياض، وحنا إبراهيم، وغيرهم إلى الأردية، وقام الأستاذ أسلم الإصلاحي بترجمة مسرحيات «شهرزاد» و«سليمان الحكيم» و«أهل الكهف» لتوفيق الحكيم إلى الأردية، وترجم حكيم سيد عبدالباقي سطاري «الأيام» لطه حسين إلى الأردية. وترجم بدرالدين الحافظ قصصًا كاملاً إلى الأردية، كما ترجم حبيب اشعر دهلوي «ماجدولين» للمنفلوطي إلى الأردية.

ويبلغ عدد الكتب المترجمة من العربية وإليها بعد استقلال الهند حسبما ذكره مؤلف كتاب «الترجمة العربية في الهند بعد الاستقلال» الدكتور حبيب الله خان يبلغ ٢٩٤ كتابا في مختلف الموضوعات.

وقبل أن انتهي من هذا الملخص أرى من المناسب أن اذكر أن المركز الثقافي العربي – الهندي التابع للجامعة الملية الإسلامية بنيودلهي قد تبنى مشروعا عظيما لترجمة الأعمال الأدبية والفكرية من العربية وإليها، وذلك بالتعاون مع هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، وفي ضمن ذلك قام المركز الثقافي بالتعاون مع الهئية المذكورة بترجمة ونشر ثمانية أعمال أدبية معظمها مجموعات قصصية عربية إماراتية إلى الأردية والهندية ويجري ترجمتها إلى الماليالام، كما أن الدفعة الثانية من ترجمة الأعمال العربية (٦ أعمال نثرية وشعرية) إلى اللغات الأردية والهندية والماليام تجري حاليا ويتوقع صدورها حتى شهر ديسمبر/ كانون الأول من العام الحالي، هذا إلى جانب ما قام به المركز من ترجمة ثمانية من الكتب الإنجليزية المهمة حول الهند والتي نشرت العام الماضي.

كل هذا الاهتمام في ربوع الهند بنقل التراث العربي إلى اللغات الهندية وحفظه ونشره ينبع من صميم ارتباط المسلمين بالإسلام والثقافة العربية وحبهم لهما دون أي دعم مادي أو معنوي من الدول والحكومات العربية. أليس ذلك يدعو العرب إلى وقفة تأمل إزاء هذا الوضع؟

• ملخص لورقة قدمها الباحث الهندي شاهجهان مادامبات حسن في ندوة العربي «العرب يتجهون شرقا» – الكويت . يناير ٢٠١١.

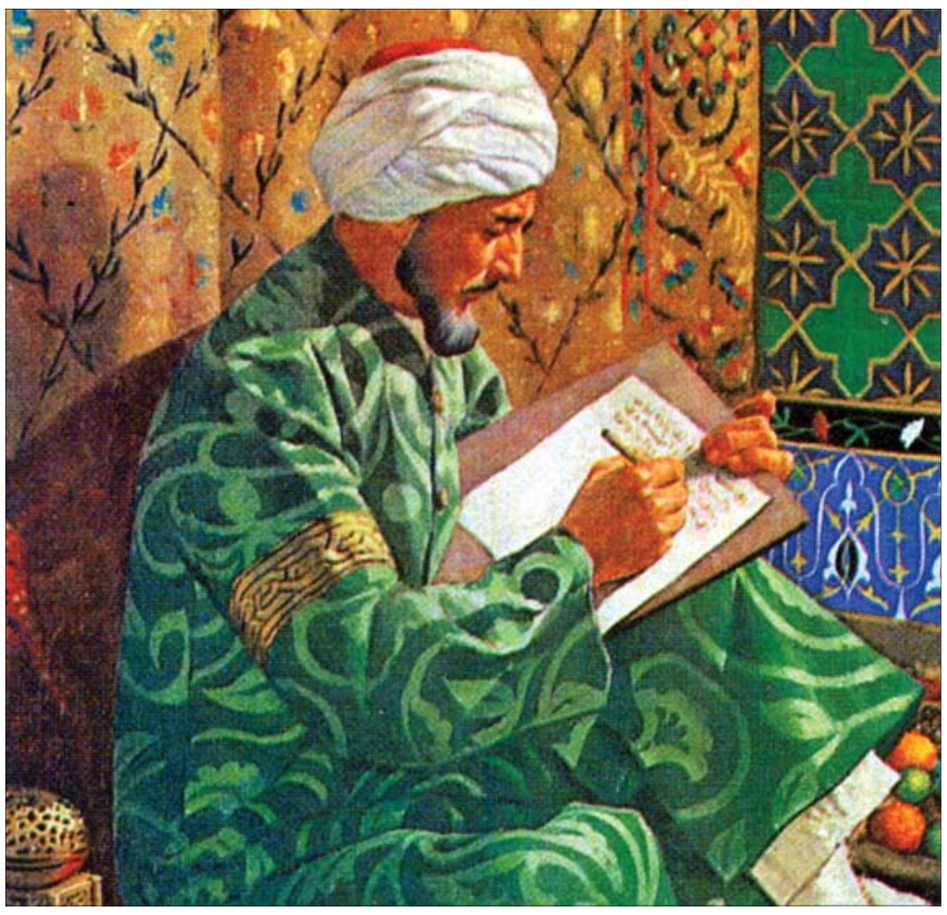

ولربّما

ياسين البكالي

وتقولُ لي ...
إذ مرّ صوتُ الماءِ مُحترقاً على
أهدابِها
أولستَ تدري ؟؟
ويدُ الضبابِ تشيرُ نحو الشمس
شيءٌ ما هنا يطغى
على قلبِ الحبيبْ
محضُ انفجارٍ كان يستلقي
على جسَدِ السكوتِ
لَعَلّ أمراً ما يثيرُ غرابةَ المعنى
وقدْ أضحى غريبْ
حزنٌ يدقُّ البابَ قُربَ قصيدتين
أصابتا كَبِدَ الخُرافةِ
قبلَ أن يلجُ الفراغُ قصورَ دهْشتِكَ
التي انْطفأتْ وراءَ مرارةٍ
في القلبِ تأبى أن تغيبْ
وتوَجّسَ الشعراءُ خيفةَ
أن يروكَ على بلاطِ كآبةٍ أُخْرى
وتقولُ لي ...
واللهِ قد بَعُدتْ أواصرُنا تماماً
يا قـــرِيبْ
قلقٌ يُساورني
فأنتهزُ الصبابةَ..... نزوةً
تَتْحَسسُ الآمالَ في جيبِ الليالي
ثمّ تعزفني صباحاً
يرشفُ الكلماتِ بحثاً
في صداها عن مُجِيبْ
ولربّما.....
وأنامُ في كوخِ انتظاري
ريثما.....
يخبو صُراخُ خواطري
يا ربُّ ....
ما أدناكَ منّي !!!
ثمّ ما أنئاكَ عني !!!!!!!!
أيّها الزمنُ العجيبْ

إصدارات ثقافية

بريطانيا والوحدة العربية (1945-2005)

■ صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت كتاب «بريطانيا والوحدة العربية ١٩٤٥-٢٠٠٥» (ضمن وقفية جمال عبد الناصر الثقافية)، للدكتور علي محافظة. وجاء في تعريف الكتاب ما يلي: يندرج هذا الكتاب في إطار مشروع مركز دراسات الوحدة العربية الهادف إلى دراسة مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية.

وقد عُني المؤرّخ الدكتور علي محافظة، في دراسته هذه، ببيان الموقف البريطاني من الوحدة العربية منذ ١٩٤٥ إلى العام ٢٠٠٥.

معتمداً في ذلك على وثائق أرشيف وزارة الخارجية البريطانية، وعلى المذكرات الشخصية للساسة البريطانيين والأمريكيين، إضافة إلى العديد من الوثائق الرسمية العربية والمذكرات الشخصية للعديد من القادة السياسيين العرب، والمؤلفات والأبحاث المنشورة باللغات العربية والانكليزية والفرنسية المتصلة بالموضوع.

ويرى المؤلف أن السياسة البريطانية نحو الوحدة العربية والتضامن العربي في السنوات ١٩٤٥-٢٠٠٥، كانت تنطلق من عدة أسس واعتبارات، أبرزها: (١) الحفاظ على المصالح البريطانية التي كانت تشمل القواعد العسكرية البريطانية المنتشرة في أرجاء الوطن العربي، وكذلك حماية شركات النفط وتأمين سلامة تسويقه، وإبقاء الأسواق العربية مفتوحة للسلع والبضائع البريطانية؛ (٢) تأمين تزويد بريطانيا بحاجتها من النفط بسهولة ويسر وبأسعار منخفضة؛ (٣) إبعاد الاتحاد السوفياتي عن هذه المنطقة الحيوية والاستراتيجية، والحيلولة دون التغلغل الشيوعي فيها، والسعي إلى إدخال الدول العربية في أحلاف عسكرية غربية للوقوف في وجه الاتحاد السوفياتي؛ (٤) توفير الأمن والاستقرار في المنطقة بما يضمن نجاح الخطط البريطانية والغربية؛ (٥) الحفاظ على الكيان الصهيوني في فلسطين، والتصدي لإجراءات المقاطعة الاقتصادية والثقافية لإسرائيل.

يقع الكتاب في ٤٦٢ صفحة.

(نيون أحمر)

■ صدر حديثا عن دار النهضة العربية ببيروت ديوان شعري بعنوان«نيون احمر» للشاعرة والقاصة المغربية منى وفيق-- يقع الديوان في ٢٠٥ صفحة وثلاثة أجزاء :دبابيس كافية بلا شك ، دفاتر نميمة، تودد واعد جدا.

تبدو قصائد الديوان بعيدة تماما عن المهادنة ، بلا مكياج ، بلا أقنعة وهي أكثر ما تميل إلى الهجوم والتوحش وإلى إنسانية مخضبة بالكبرياء إن أمكن القول، تراهن الشاعرة على ان الطبيعة حرة ومتوحشة منعتقة من سطوة الشاعرة نفسها، وثمة جغرافيا جسد يتسلل لتفاصيل الأشياء ويعيش فيها. كأن الشاعرة فى «نيون أحمر» ترسم وكأن الأحرف ألوان مما يجعلنا نسمى ديوانها بديوان الألوان. تمرر منى وفيق عبر أحرف نيونها الأحمر الأنفاس، وتمرر عبر الأنفاس أيضا الأحرف.

«نيون أحمر» هو الإصدار الثالث لمنى وفيق بعد مجموعتها القصصية الأولى «نعناع، شمع وموت» بالقاهرة وديوانها «فانيليا سمراء» صدر في الأردن.

نحن لا نحب القراءة

■ «نحن لا نحب القراءة» كتاب عن لقاءات أستاذة للأدب مع طلاب إحدى المدارس الإعدادية الفرنسية بمدينة طولون. وكانت المؤلفة دانييل سالوفان قد قامت بزيارات متكررة إلى المدرسة المعنية خلال عام ٢٠٠٨. أما الهدف المعلن فكان كيفية مساعدة المدرّسين كي يبعثوا لدى تلامذتهم «تذوق الكتب وحب القراءة».

وتقول المؤلفة في مقدمة كتابها أنها لا تعرف ما الذي قدمته حقيقة لأولئك المدرّسين، ولكنها لاحظت واقع أن المدرسة تبقى بمثابة «مساحة للأمان» في مجتمع متحرّك وتعاني فئات كثيرة فيه من صعوبات لتأمين سبل عيشها الكريم. هذا على الرغم من «انحطاط أوضاع المدرسة وإنهاكها وانهيارها في بعض الأحيان».وما تؤكده دانييل سالوفان اعتمادا على احتكاكها المباشر بأوساط التلامذة هو أن مستوى المدارس والتدريس في فرنسا «ينخفض» بدلا من أن «يرتفع» ولكنها تعرف بكل الأحوال «كيف تقاوم إلى هذه الدرجة أو تلك. ثم إنها لا تزال أحد أهم الحواجز الفعّالة ضد «الصبغ المدمّرة» التي تفرضها الثقافة الخفيفة ممثلة في إنتاج «أسواق التسلية» و«هيمنة المال» و«حمّى الاستهلاك».

وتؤكد في هذا السياق أن «الأداة الفعّالة» التي تستخدمها المدرسة في مقاومتها هي «الكتب». ففي المدرسة لا تزال توجد كتب «على الأقل». وإذا كان من الصحيح القول أنها لا تستطيع أن تفعل كل شيء. لكن انهيار المدرسة، يعني بكل بساطة، انهيار كل شيء.

إن دانييل سالوفان تروي في كتابها الكثير من الحكايات «اللطيفة» عن عالم أولئك الذين قابلتهم وعرفتهم عن قرب في إحدى مدارس مدينة «طولون» بجنوب فرنسا. وتحدد القول أن المدرسة التي «عملت» فيها موجودة في منطقة يقطنها عدد كبير من المهاجرين مما جعلها تنطوي ضمن المدارس المسماة بمدارس «منطقة التعليم ذات الخصوصية». ومصدر هذه «الخصوصية» تأتي تحديدا من الحالة المعيشية المتدنية لأهل أغلبية التلامذة.

لم تذهب المؤلفة لأداء مهمتها وهي تحمل معها أية «أحكام مسبقة». لقد أرادت أن تواجه تساؤلات أولئك التلامذة وهمومهم ورؤيتهم للمستقبل مستقبلهم. وكانت الملاحظة الأولى هي أن أولئك التلامذة يمتلكون قدرا كبيرا من «الكفاءات الخلاّقة». وفي الوقت الذي لم يتردد فيه بعضهم من التعبير عن غضبه وسخطه على الأوضاع الصعبة التي وجدوا أنفسهم فيها «دون أن يختاروا ذلك» لاذ آخرون بصمت مطبق، لكن على خلفية الرفض أيضا.

وحرصت المؤلفة على أن تتعرف على مستواهم التعليمي. وهكذا طلبت من أولئك التلامذة تحرير «تعليقات» على نص مسرحي من تأليفها قرأته عليهم. وعندما اطّلعت على ما كتبوه وجدت نفسها في مواجهة «حقيقة الفشل المدرسي وعلى ضحالة القاموس الذي يستخدمونه رغم أهمية الأفكار أحيانا». كان هدفها عبر تلك التجربة هو محاولة فهم «ما يجري» أو «ما لا يجري» في المدرسة.

أما أكبر الأخطار في كبح المعرفة فتجده دانييل سالوفان في «فقدان الشجاعة أمام الصعوبات الهائلة التي قد تدمّر كل الجهود».

وتؤكد المؤلفة في هذا السياق اعتمادا على مشاهداتها وملاحظاتها المباشرة للتلامذة الذين عرفتهم عن قرب وشهدت ردود أفعالهم وقرأت النصوص التي كتبوها هو أن لديهم «شهية هائلة» للمعرفة لديهم لكن «كل شيء يساهم في دفعهم بعيدا عن عالم القراءة والكتابة». المطلوب إذن هو «اقتحام» الصعوبات ودفعهم نحو هذا العالم، خاصة أن الكثيرين من بينهم أظهروا فرحا حقيقيا، بل أعربوا عن شعور بالاعتزاز، أنهم يحفظون عن ظهر قلب بيتا من الشعر لرامبو.

هؤلاء التلامذة يحتاجون لمن يحدثهم عن الكتاب وعن الطريق «المفتوح» الذي يمكن أن تلجه المخيلة عبر النص. والموعد الذي يمكن أن تمثله قراءة «أوديسة» هوميروس على صفحات مكتوبة.

ولا تتردد المؤلفة في تحميل قسط كبير من مسؤولية التقصير عن القراءة إلى السلطات العامّة المسؤولة. تقول: «كيف حدث كي لم نعد نمتلك الجسارة السياسية لتصوّر قيام عالم أفضل أمامنا أو على الأقل عالم أكثر عدالة وأن نوقظ لدى هؤلاء الأطفال رغبة العمل فيه؟ وكي لم نعد نملك تذوّق تعريفهم بالصيغ وبالكائنات وبالأشياء التي أشيد بواسطتها العالم منذ الماضي السحيق وحتى الغد الذي لا نهاية له، وذلك كله عبر الكتب»؟

ولا تنسى المؤلفة أن تذكّر باستمرار أن الوسط المحيط و«الثقافة المسيطرة» تدفع باتجاه آخر غير القراءة. بل إن المجتمع برمّته «تحوّل نحو المال، ونحو ما هو مباشر». باختصار نحو «ثقافة التسطيح» بعيدا عن أي عمق، وجهد تتطلبهما القراءة. وتتحدث المؤلفة عمّا تسميه «الثقافة المراهقة» التي يشكّل «التسويق» عصبها الرئيسي».

ومع تثبيت واقع أن التلامذة والطلبة عامة «لا يحبون القراءة»، فإن المؤلفة تثبت أيضاً حقيقة أخرى هي أن «المدرسة لا تساعدهم على ذلك». أما الأساتذة فإنهم «يرقبون ما يجري أمامهم بكثير من الصبر والصمت».

الكتاب: نحن لا نحب القراءة
تأليف: دانييل سالوفان
الناشر: غاليمار . باريس ٢٠٠٩
الصفحات: ١٥٩ صفحة
القطع: المتوسط